

المبحث الثالث : نماذج فلسفية من بلاد الأندلس

أولا / ابن باجة :

أ. من هو ابن باجة :

" هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن الصائغ و ابن باجة ، و في اللغة الإسبانية بمعنى الفضة ، وبهذا تتعدد الصلة بين كلمتي ابن الصائغ و ابن باجة ، و من المحتمل أن تكون كلمة باجة قد حرفت عن كلمة (باتشا) مثلا التي هي بدورها حرفة عن كلمة (بلاتان) التي معناها (الفضة) وهنا تقع الصلة بينها وبين كلمة الصائغ التي ترادف في اللغة اللاتينية (الفضة) وقد حرف الأوروبيون في القرون الوسيطة اسم ابن باجة فنطقوه (أفين باز) كما حرفوا أسماء ابن رشد ، وابن طفيل ، وابن جبيرول ، وابن سينا ، وغيرهم من فلاسفة المسلمين "1.

ب. مولده :

" ولد ابن باجة في مدينة (سراجوس) في القرن الحادي عشر ، ولا يعرف تاريخ مولده بالضبط ، وكذلك لا يعرف شيء يذكر عن طفولته ومبدأ شبابه ، وإنما كل ما ذكره المؤرخون هو أنه عاش في اشبيلية في سنة 1118م وأنه مات في مدينه (فاس) في سنة 1138م ، ولم يكن قد تقدمت به السن بعد ، ويروي بعض المؤرخين العرب أنه مات مسموما على يد طبيب كان يحسده على نكائه وعلمه وشهرته "2.

¹ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ج 1 ، 1966م ، ص 65.

² محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، م.س ، ص 28.

ج. مؤلفات ابن باجة :

ألف ابن باجة رغم أنه توفي في شبابه عددا هاما من المؤلفات بعضها من وضعه الخاص والبعض الآخر يشرح فيها مؤلفات أرسطو وغيره من الفلاسفة ، وأهم الكتب التي ألفها (في تدبير المتوحد) وبعد اجل كتبه وأجدرها بالدرس والتحليل إلا أنه لم يتبقى منها شيء إلا أنه قد ذكر ابن رشد إلى محتواها قائلا بأنه قد حاول أبو بكر أن يضع منهجا للمتوحد في هذه البلاد ، ويذكر ابن رشد أنه الوحيد الذي عالج هذا الموضوع وقد ذكر موسى الناربوني أنه قد سجل في أحد كتبه تحليلا قيما في كيفية وصول المتوحد إلى الخير وصلاحه لأن يكون عنصرا أساسيا للدولة المثالية ، ويذكر موسى أن هذا الكتاب يتألف من ثمانية فصول من بينها ، الفصل الأول يشرح فيه معنى كلمه تدبير فأبان أنها تطلق على كل مجموعة من القواعد التي يضبط بها عدد من الأفعال يتجه إلى غاية واحدة كتدبير الأسرة وتدبير الجيش وتدبير الدولة³.

وعنده أن تدبير المتوحد الذي اعتزل الهيئة الاجتماعية الناقصة هو صورة الدولة الكاملة و في الفصل الثاني درس جميع الأفعال الإنسانية ليتبين ما يمكن أن يحقق من بينها غاية المتوحد " وقد قسم هذه الأفعال إلى قسمين فالأول ما كان ناشئا عن الإرادة الحرة والقسم الثاني هو ما كان باعثة الغريزة الحيوانية و في الفصل الثالث يبين أن أفعال الفرد هي التي تحقق غايته وقد وجب معرفة هذه الأمور و أقسامها المختلفة ، ثم يتدرج إلى أن يصل إلى أرفع هذه الصور جميعها و هو العقل الإيجابي الذي هو مصدر العقل المستفاد و الذي بفضلله يصل الإنسان إلى إدراك نفسه ككائن عقلي ، يذكر الناربوني بأن ابن باجة لم يذكر في هذا الكتاب كيف يتصل العقل الإنساني بالعقل الإيجابي العام حتى يستمد منه الإدراك ، و يقول أن السبب في ذلك هو أن الكتاب لم يكتمل مثل كثير من كتبه⁴.

³ انجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، م.س ، ص335.

⁴ محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، م.س ، ص29.

" كما له عدة رسائل في المنطق ولم تتم أيضا ، وهي محفوظة في مكتبه الأسكوريال و له رسالة في النفس ويذكر فيها كيفية امتزاج الإنسان بالعقل الفعال ، ورسالة (الوداع) تحتوي على أفكار تتناول المحرك الأول في الإنسان والغاية الحقيقية للوجود البشري و العلم وتحدد هذه الغاية بالاقتراب من الإله ليقبل إليه العقل الفعال الذي فاض عنه ، وفي هذا الكتاب فقرات مظلمة معقدة عن خلود النفس ، ويشتمل أيضا على نقد موجه إلى الإمام الغزالي في نظرية المعرفة ، وله عدة كتب في الرياضيات والطب ⁵.

له أيضا عدة كتب يشرح فيها الكتب اليونانية ، " مثل مؤلف يشرح فيه كتاب (الطبيعة) ويضع مقالات من (الآثار العلوية) و كتاب (الكون والفساد) والمقالات الأخيرة من كتاب (الحيوان) وثلاث رسائل للفرابي ، و (ايساغوجي لفورفوروس) ويذكر ابن أبي اصيبعة أن أبا الحسن علي الغرناطي تلميذ ابن باجة قد نسخ مجموعة من رسائل أستاذه ، وصدرها بمقدمة ذكر فيها أن ابن باجه كان أول فيلسوف مغربي استطاع أن يستغل تأليف فلاسفة المشرق التي كانت مع ذلك ذائعة في المغرب منذ عهد الحكم الثاني ⁶.

د. فلسفة ابن باجة :

" لقد طبع ابن باجة الفلسفة العربية في نظرية المعرفة بطابع جديد يختلف تمام الاختلاف عن الطابع الذي كان الغزالي قد طبعها به في الشرق بعد أن خلى له الجو بوفاة أعلام الفلسفة وهو أن الإلهام أهم وأوثق مصادر المعرفة ، فلما جاء ابن باجة هاجم هذا الرأي مقررًا أن الفرد يستطيع أن يصل إلى نهاية المعرفة ويندمج في العقل الفعال إذا تخلص من رذائل المجتمع من فرض نفسه و استخدم قواه العقلية في تحصيل أكبر قسط من الثقافة و العلم ، وغلب الناحية الفكرية في ذاته على الفكرة الحيوانية ⁷.

⁵ محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، م.س ، ص32.

⁶ محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، م.س ، ص300.

⁷ نفسه ، ص 302.

" حيث أن الجمعية البشرية هي التي تغطي على الفرد و تعطل ملكاته النظرية وتعوقه عن الكمال بواسطة ما تغمره فيه من رذائلها الكثيرة وأهوائها الجارفة ومنه يمكن للإنسان أن يصل إلى أسمى مراتب الرفعة عن طريق النظر وتحصيل المعرفة التي لا تتحقق له في وسط المجتمع بل يجب أن يتفرغ لها في عزلة ، والعزلة التي يأمر بها ابن باجة ليست انقطاع عن الناس ، وإنما معناها أن يظل الإنسان متصلا بالمجتمع ، غاية الأمر و أن يكون دائما أمير نفسه و سيد شهواته و أن لا ينسحب في تيار الهيئة الإجتماعية ، وبعبارة أخرى أن يتمركز في نفسه ويشعر دائما بأنه مثل يحتذي به ، و مشروع يقدم القواعد للمجتمع بدل أن ينصاع للمجتمع "8.

" إن كل إنسان مستعد لسلوك هذا الطريق ولا يؤخره عنه إلا استهانتة بذاته وخضوعه لرذائل الهيئة الاجتماعية ، ولو أن كل فرد نبذ هذه المهانة لوصلت الجمعية البشرية كلها إلى الكمال ، ويرى أنه وسيلة حصول المعرفة الفعلية لدى المتوحد ، فهي أن يستخدم قواه العارفة في تكوين المعلومات ثم يجردها من علائقها المادية ، فإذا ما تم له ذلك أجرى عليها ما يلتئم معها من التأمل فتتحقق له المعرفة الكاملة "9.

" يقسم ابن باجة القوة الإنسانية إلى ثلاث الأولى فهي القوه الغائية ، والثانية الملكة المتخيلة و الذاكرة ، و هما غير قادرتين على إدراك ذاتيهما، و الثالثة هي العاقلة ، وهي بفطرتها قادرة على إدراك نفسها وغيرها ولكن الفرق بين الإدراكين هو أنها تدرك نفسها إدراكا صحيحا على حين لا تدرك من غيرها "10، وعنده أن المتوحد هو وحده الذي يستطيع أن يصل إلى مرتبة العقل المستفاد، وهذا يدل على أن متوحد ابن باجة يشبه كل الشبه حكيم

8 محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، م.س، ص302.

9 انجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، م.س ، ص348.

10 محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، م.س ، ص 38.

الفارابي الذي اختصه من بين الجماهير بالخلود لبلوغه درجة العقل المستفاد واتصاله بالعقل الفعال¹¹.

ثانيا/ ابن طفيل

أ. مولد و حياة ابن طفيل :

" ورد اسم ابن طفيل بأشكال عدة فهو أبو بكر محمد ابن طفيل القيسي عند ابن دمية و هو معاصر لابن طفيل توفي عام 1235م و هو أبو بكر محمد ابن طفيل عند عبد الواحد المراكشي و هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عند لسان الدين بن الخطيب و قد ادخله التعريف عند بعض الدارسين المحدثين فهو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد ابن طفيل و هو عربي العنصر و ينتسب إلى قبيلة قيس ، و قد أطلق عليه العديد من الألقاب منها القيسي و الأندلسي و الأشبيلي و القرطبي¹².

" لقد و لد في قرية واد آش و هي قرية صغيرة تبعد نحو ستين كيلومتر عن مدينة غرناطة ولم يعرف تاريخ مولده بالضبط إلا أنه ذكر بأنه ولد قبل سنة 506هـ أي بدايات القرن الثاني عشر ميلادي و لا يعرف كيف كانت طفولته و لا كيف تتقف في شبابه و يذهب بعض المؤرخين بأنه كان تلميذا لابن باجة إلا أن ابن طفيل نفسه يذكر بأنه لم يلتق به بتاتا بل كان مطلع و يسمع عن أرائه ، ولكن التاريخ إذا كان يجهل الكثير عن فترة طفولته و عن المسار التقيفي في فترة شبابه ، فإن الباحثين لهذه الشخصية يمدوننا بمعلومات عن المناصب الراقية التي و صل إليها و التي شغلها و عن المرتبة الرفيعة التي

¹¹ نفسه ، ص40.

¹² الشيخ كامل محمد عويضة ، ابن طفيل فيلسوف الإسلام في العصور الوسطى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 199 م ،

كان يحظى بها بين العلماء و كذلك مستواه الثقافي و الأدبي الواسع و المكانة المرموقة في الطب و الفلسفة¹³.

" حيث ذكر بأنه كان طبيبا محترفا خاصا لأمير مدينة غرناطة ، و ثم كاتب خاص لابن الأمير عبد المؤمن الذي كان حاكم مدينتي سبتة و طنجة ، ثم بعد هذا علا ذكر ابن طفيل ليصبح صديقا لأبي يعقوب يوسف ثاني ملوك أسرة الموحدين و تم تعيينه كطبيب و وزير لهذا الملك و من بعده خليفته وقد يرجع هذا السبب إلى أن كلاهما كانا من قبيلة قيس، حيث صلة الدم معروفة و مقدسة عند العرب و المسلمين و كذلك ترجع إلى أن كلاهما كان أدبيا رفيع المستوى و يقول عبد الواحد المراكشي عن الأمير أبو يعقوب يوسف { كان رقيق الحواشي أفصح الناس كلاما و أسرعهم خاطرا في أصعب مسائل النحو و غموضها و أعرف الناس في أخبار العرب في جاهليتها و بعد إسلامها } أما في الجانب العلمي فيقول فيه { طمح به شرف نفسه و علوا همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيرا من أجزاءها و بدأ من ذلك تعلم علم الطب ... ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة ، و أمر بجمع كتبها ، فاجتمع له منها قريب ما أجمع إلى الحكم المستنصر بالله الأموي ...¹⁴.

بذلك قد أدى ابن طفيل عن طريق هذه الصلة حق الزمالة العلمية خير أداء ، فكان يجلب العلماء من جميع الأقطار ، و يحض الملك على إكرامهم و إعلاء مقامهم و تهيئة جو البحث العلمي لهم ، و في رحاب هذا الملك عاش ابن طفيل عيشة هنيئة و هادئة مطمئنة كان فيها الطبيب و المستشار .

" و هو الذي قام بتحفيز ابن رشد تحقيقا لرغبة أبي يعقوب على العمل الضخم و العظيم الذي قام به من تلخيص كتب أرسطو و شرحها ، و أيضا يذكر لأبن طفيل العديد من المؤلفات التي قام بها نتيجتا لهذه الصداقة ، في الفلسفة من الطبيعيات و الإلهيات و غير

¹³ د. عبد الحليم محمود ، فلسفة ابن طفيل و رسالته (حي بن يقضان) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 2 ، 1999م

ص12

¹⁴ د. كمال اليازجي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، دار المشرق ، بيروت ، ط 2 ، 2000 م ، ص415 .

ذلك ، وله عدة رسائل تبادلت بينه و ابن رشد في الطب و له رسالة في النفس يذكرها المراكشي كتبة بخط يده حيث أنه اطلع عليها بنفسه ، و يذكر البطروجي الفلكي و ابن رشد أن ابن طفيل قد وفق لنظام فلكي يخالف النظام الذي وضعه بطليموس ، إلا أننا على جهل تام بهذا النظام الفلكي و غيره و المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الباحثين في دراسة ابن طفيل هو رسالته حي بن يقضان فهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا منه ¹⁵.

إذا كان ابن طفيل طبيباً بحكم و صفه في القصر الملكي و فلكياً بشهادة كبار الفلكيين البطروجي و فيلسوفاً إلهياً ، فإنه كان أديباً فخماً ، فرسالته تظهر ذلك بوضوح تأنيق في الأسلوب ، وبراعة في التعبير ، و سلاسة في التركيب و قد طوع اللغة لأفكاره فأدت المعنى في دقة تامة بأسلوب بارع و في هذا يقول الدكتور أحمد أمين { نحن لو قارنا بين ابن سينا و ابن طفيل من الناحية الأدبية ، لوجدنا ابن طفيل أرقى من ابن سينا بكثير من حيث اللغة فعبارات ابن سينا مغلقة غامضة أما ابن طفيل فعبارته أدبية مشرقة ، ففي كثير من عبارات ابن سينا ما تدل على أنه يستقي لغته و ألفاظه من المعاجم ، لا من كتب الأدب أما ابن طفيل فيستقي معلوماته اللغوية من كتب الأدب و المثقفين بها فجاءت عباراته أنصع و أبلغ " و إذا كان ابن طفيل أديباً ناثراً ، فقد كان شاعراً أيضاً و في شعره كثير من العاطفة و الفلسفة ، و من شعره الذي وصلنا :

و لـمـا إلتقيا بعد طول تهاجر	وقد كاد حبل الود إن يتصرما
جلت عن ثناياه و أومض بـأرق	فلم أدر من شق الدجنة منهما
وساعدني جفن الغمام على البكى	فلم ادر دمعا أينما كان أسحما
فقالـت وقد رق الحديث و أبصرت	قرائن أحوال أذعن المكتما
ناشدتك لا يذهب بك الشوق مذهباً	يهون أو يرخـص مآتما

¹⁵ د. محمد ابراهيم الفيومي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب و الأندلس ، دار الجيل بيروت 1998م ، ط 1 ، ص 418.

فأمسكت لا مستغنيا عن نوالها ولكن رأيت الصبر أوفى وأكرما

و من شعره في صلة البدن بالروح :

" نور تردد في طين إلى أجل فانحاز علوا و خلى الطين للكفن
يا شدا ما فترقا من بعد ما إعتقا أظنها هدنة كانت على دخن
إن لم يكن في رضا الله اجتماعهما فيا لها من صفقة تمت على غبن"¹⁶

من شعره أيضا حول اختلاف الناس من حيث الطبيعة الخلقية و المستوى الفكري
و العقلي :

"ما كل من شم نال رائحتا للناس في ذا تباين عجب
قوم لهم فكرة تجول بهم بين المعالي أولائك النجب
و فرقنا في القشور قد و قفوا وليس يدرون لتب ما طلبوا
لا غاية تتجلي لناظرهم منه ، و لا ينقضي لهم أرب
لا يتعدى امرؤ جبلته قد قسمت في الطبيعة الرتب"¹⁷

¹⁶ الشيخ كامل محمد عويضة ، ابن طفيل فيلسوف الإسلام في العصور الوسطى ، م.س، ص 50.

¹⁷ نفسه ص 50.

يظهر هذا النزر اليسير من الشعر مدى تفوق و براعة ابن طفيل في تطويع اللغة إلى أفكاره و أيضا رسالته حي بن يقضان دليلا على هذا حيث أعتبرها الباحثون رائعة من روائع الأدب العالمي الخالد كما أنها أيضا تعتبر مذهب فلسفي كامل تتجلى فيه الدقة بكل معانيه.

" لقد استمر ابن طفيل في صحبة أبي يعقوب إلى سنة 580هـ حيث توفي هذا الأمير و قد بقي الأمر كما عليه مع خليفته و هو أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور حيث مكث ابن طفيل في صحبته ، إلى أن حياة ابن طفيل لم تطل بعد صديقه فقد توفي بعده بسنة أي سنة 581 هـ ، و قد سار الخليفة أبو يوسف يعقوب في جنازته بنفسه رحمه الله ¹⁸.

ب. أساتذته و تلامذته :

" أما بالنسبة لتكوينه الفلسفي و الأدبي و العلمي فإننا لا نرى شيئا عن الأساتذة الذين تلقى عليهم العلم و لا عن البلاد التي تعلم فيها ، و لكن يمكن الترحيح بأن قرطبة تأتي في المقدمة و بعدها اشبيلية و نقصد من ذلك أنه التقى بالعديد من العلماء من هذه المدن ، أما عن الأساتذة التي تلقى عليهم ابن طفيل العلم فإن هذا الجانب يعد كما سبق أن أشرنا منذ قليل جانبا مجهولا للحياة الفكرية لابن طفيل فقد ذكر المراكشي أن ابن طفيل قرئ على جماعة من المتمكنين بعلم الفلسفة و من بين ما ذكره المراكشي نجد أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة و لقد أخطأ المراكشي في هذا حيث يذكر ابن طفيل نفسه أنه لم يلتقي به أبدا في قصته حي بن يقضان ¹⁹ ."

أما تلاميذه فيظهر أنهم كانوا كثر و من أشهرهم و لا ريب أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد أعظم فلاسفة الإسلام و من أعظم الفلاسفة الأشد تأثيرا في الفكر البشري و الغربي خاصة و أيضا أبو إسحاق البتروجي الفلكي ، و لقد كان من عادة ابن طفيل أن يقترح على

¹⁸ محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية بالمغرب ، جمعية الثقافة الإسلامية و شهيرات المكتبات ، القاهرة ، 1962م ، ص42.

¹⁹ نفسه، ص41.

تلامذته أوجها من العلم و بعضا من المسائل الفلسفية لكي يعالجونها و يعتقد رينان أن ابن طفيل، هو الذي هيئ مستقبل ابن رشد عندما عرفه على الأمير يوسف آن ذاك و شجعه على القيام بالعمل الجليل في ترجمة و تلخيص كتب أرسطو²⁰ .

" و كان من معاصري ابن طفيل و أشهرهم آل زهر حيث كان أغلبهم أطباء ، و نفر منهم اشتغلوا في الرياضيات إلا أنه لم يبلغ أحد منهم رتبة البتروجي في الفلك و لا قارب مكانة ابن رشد في العلم العقلي و كذلك يعد المراكشي من تلاميذ و معاصري ابن طفيل²¹ .

ج. أثار و مؤلفات ابن طفيل :

يذكر المؤرخون لابن طفيل العديد من المؤلفات و المصنفات في الفلسفة في الطبيعيات و الإلهيات و غير ذلك و رسالة في النفس و عدة رسائل تبادلت بينه و بين ابن رشد في الطب ، إلى أنه لم يصلنا شيئا من ذلك و كل ما هو موجود حاليا من أثار لابن طفيل هي رسالة حي بن يقضان فقط التي ترجمة إلى عدة لغات من عظم ما بلغته ، و هي تعتبر خلاصة فلسفة ابن طفيل و هناك مخطوطة تحت عنوان الحكمة المشرقية موجودة في مكتبة الإسكوريال و ما هي إلا جزء من قصة حي بن يقضان و هذه في حقيقة أمرها عبارة عن استخلاص بعض جواهر الفيلسوف ابن سينا الذي تأثر بها ابن طفيل²² .

يعتبر ابن طفيل من أكابر الفلاسفة قليلي التأليف على عكس غيره من فلاسفة الإسلام و يعد من أحسن فلاسفة المغرب في الاختصاص و الإقلال من التأليف ، و في ما يلي

²⁰ الشيخ كامل محمد عويضة ، ابن طفيل فيلسوف الإسلام في العصور الوسطى ، م.س، ص 28.

²¹ د. كمال اليازجي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، م.س ، ص 414.

²² محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية بالمغرب ، م.س، ص 42.

سأقوم بذكر بعض المؤلفات التي قيل أنه قام بتأليفها ، وكما أشرت فيما سبق أنه لا يوجد لها أثر مادي بل ذكرها الباحثون الذين اهتموا بهذا الفيلسوف.

د. أسلوب ابن طفيل في التأليف :

" لا يوجد ما يستدل به حول أسلوب ابن طفيل غير قصة حي بن يقظان فهي المؤلف الوحيد الذي وصلنا منه و القصة على صغر حجمها نسبيا تحتوي على عدة فنون فقد ذكر تقريبا كل ما وصل إلى الأندلس في زمانه من علوم الأولين و حكمهم ، فمن نبذة عن التشريح في الطب التجريبي ، إلى القول في الفلك و الجغرافيا ، و من التوسع في العلوم الطبيعية إلى نظرية في الفلسفة ، و هي قبل كل هذا تعتبر عمل أدبي خالد "23.

حيث أن قصة حي بن يقظان قصة في النشوء و الارتقاء ، و في سعيه الدائب لبلوغ و الوصول إلى الحقيقة متنقلا من المحسوس إلى المعقول و من التجربة إلى التجريد عن طريق الحواس تارتا و عن طريق العقل تارتا أخرى ، كل هذا بأسلوب أدبي مشوق بلغ حد الروعة في التدرج و الانتقال من حدث إلى آخر ، أما المنهج الذي سار عليه ابن طفيل فهو مزيج من البحث و النظر العقلي و من الكشف و المشاهدة عن طريق الصوفية .

" لقد أراد ابن طفيل بعمله هذا أن يطلع الناس على حقيقة الفلسفة و كيف أنها تلتقي مع الشريعة و أنهما غير متعارضتان هذا أولا و ثانيا كيفية النشوء الطبيعي و تطور فكر الفرد بعيدا عن المجتمع ، وكيف أن العقل و حده كفيلا يأخذ يد صاحبه إلى بر الأمان أي إلى إيصاله لمعرفة الله ، لأن الفطرة التي زرعها الله فيه كفيلا بهذا و أيضا بيان كيفية تدرج الإنسان بالتأمل و التفكير و معرفة هذا العالم الذي يحيط به و هو عالم المادة و الموجودات "24.

²³ تاريخ الفلسفة في الإسلام ، تر : محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، 1954 م ، ص 301.

²⁴ الشيخ كمال محمد عويضة ، ابن طفيل فيلسوف الإسلام في العصور الوسطى م.س ، ص 28.

لقد قام بذلك ابن طفيل بإخراج الفلسفة بأحسن ثوب حيث كان أسلوبه سلس في دنيا الفلسفة العربية الإسلامية مثل ابن سينا و ابن رشد إلا أن ابن طفيل لم يستخدم الألفاظ الصعبة و المعقدة بل بألفاظ سهلة الإيقاع على المتلقي و في مجمل القول فقد قام بتحبيب و تقريب الفلسفة إلى العامة التي هي بعيدة كل البعد عن الفلسفة أو النضر العقلي حتى يقرب مفهوم أن الفلسفة هي في حقيقة أمرها محبة الحكمة و ليست شر كما تصوره معاصريه الذين كانوا يكونون لها البغض و الشر عامة و الفقهاء خاصة .

كان أسلوب ابن طفيل عمل مميز حيث أنه قام بجمع ما بين النثر الأدبي و التأمل الفلسفي فقد اعتمد أسلوبه في توضيح معالم حكمته حيث أظهر أنه واسع الإطلاع في علم الطبيعة التي وصلت للمسلمين في ذلك الوقت و مطلع على ما تركه اليونان في هذا المجال و اتساع مخيلته التي رسمت معالم فلسفته في قصة حي بن يقظان و كيف هو متمكن من اللغة التي قام بتطويعها لرسم أفكاره فظهرت واضحة بعيدتا عن التعقيد و الغموض .

ثالثاً/ ابن رشد الحفيد :

أ. مولده وحياته:

" أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (520 هـ - 595 هـ) يسميه الأوربيون Averroes واشتهر باسم ابن رشد الحفيد "²⁵ (مواليد 14 إبريل 1126م)، قرطبة (توفي 10 ديسمبر 1198م) ، مراكش هو فيلسوف وطبيب وفقه وقاضي وفلكي

²⁵ ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، م.س ، ص232.

وفيزيائي عربي مسلم أندلسي ، نشأ في أسرة من أكثر الأسر وجاهة في الأندلس والتي عرفت بالمذهب المالكي، حفظ موطأ الإمام مالك، وديوان المتنبي²⁶.

" درس الفقه على المذهب المالكي والعقيدة على المذهب الأشعري ، يعد ابن رشد من أهم فلاسفة الإسلام ، دافع عن الفلسفة وصحح للعلماء وفلاسفة سابقين له كابن سينا والفارابي فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو ، قدمه أستاذه ابن طفيل لأبي يعقوب خليفة الموحدين فعينه طبيباً له ثم قاضياً في قرطبة²⁷ .

" تولى ابن رشد منصب القضاء في أشبيلية ، و أقبل على تفسير آثار أرسطو، تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ، بعد أن تمنع أستاذه لهذا العمل ، و تعرض ابن رشد في آخر حياته لمحنة حيث اتهمه علماء الأندلس والمعارضون له بالكفر والإلحاد ثم أبعده أبو يوسف يعقوب إلى مراكش وتوفي فيها (1198 م)²⁸ .

نشأ ابن رشد وسط أسرة أندلسية بارزة مارست الفتوى والزعامة الفقهية ، فجدّه المشهور باسم ابن رشد الجد ، للتمييز بينه وبين حفيده الفيلسوف، كان شيخ المالكية وقاضي الجماعة وإمام جامع قرطبة ، كما كان جده من كبار مستشاري أمراء الدولة المرابطية ، أما والده فهو أبو القاسم أحمد بن أبي الوليد ، الذي كان فقيهاً له مجلس يدرس فيه في جامع قرطبة ، وله تفسير للقرآن في أسفار، وشرح على سنن النسائي وتولى القضاء في قرطبة عام 532 هـ بينما كان ابنه ابن رشد آنذاك في الثانية عشرة من عمره ، فترك أبو القاسم القضاء لينقطع إلى التدريس والتأليف ، في الفقه والتفسير والحديث ، إلى أن توفي سنة (563هـ) عندما كان ابنه في أوج نشاطه الفلسفي ، فعاش ابن رشد الحفيد في شبابه أواخر العصر المرابطي وتميز ذلك العصر بسلطة الفقهاء على الفكر والثقافة والمجتمع والسياسة.

²⁶ انجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، م.س ، ص353.

²⁷ محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، م.س ، ص70.

²⁸ محمد غلاب ، الفلسفة الإسلامية في المغرب ، م.س ، ص72.

" درس ابن رشد الفقه على يد الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق ، واستظهر كتاب الموطأ حفظاً للأمام مالك على يد أبيه الفقيه أبي القاسم ، ودرس أيضاً على أيدي الفقيه أبي مروان عبد الملك بن مسرة ، والفقيه ابن بشكوال وأبي بكر بن سمحون ، وأبي جعفر بن عبد العزيز، الذي أجاز له أن يفتي في الفقه مع الفقيه أبي عبد الله المازري ، كما درس على يد أبي جعفر هارون، وأبي مروان بن جبيرول من بلنسية ، وكان أقرب من أبي بكر بن زاهر (أحد أبناء ابن زهر) وفي الفلسفة تأثر بابن باجة ، كما كان صديقاً و تلميذا لابن طفيل "29

" تولى القضاء عام 1169م في إشبيلية ثم في قرطبة ، وحين استقال ابن طفيل من طبابة الخليفة اقترح اسم ابن رشد ليخلفه في منصبه ، فاستدعاه الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف إلى مراكش سنة (578هـ) وجعله طبيبه الخاص ، وقربه منه وقضى في مراكش زهاء عشر سنوات ، وكان الخليفة أبو يعقوب يستعين بابن رشد إذا احتاج الأمر للقيام بمهام رسمية عديدة ، ولأجلها طاف في رحلات متتابعة في مختلف أصقاع المغرب ؛ فتتقل بين مراكش وإشبيلية وقرطبة، ثم ولأه منصب قاضي الجماعة في قرطبة ثم في إشبيلية ، فلما مات أبو يعقوب يوسف وخلفه ابنه المنصور الموحي زادت مكانة ابن رشد في عهده ورفعته وقربه إليه "30.

" لكن كاد له بعض المقرئين من الأمير، فأمر الأمير بنفيه وتلامذته إلى قرية بالأنسية التي كان أغلب سكانها من اليهود ، وأحرق كتبه ، وأصدر منشوراً إلى المسلمين كافة ينهاهم عن قراءة كتب الفلسفة، أو التفكير في الاهتمام بها ، وهدد من يخالف أمره بالعقوبة "31.

" وبقي بتلك القرية لمدة سنتين ، وبعد تأكد السلطان من بطلان التهمة السياسية التي كانت وراء تلك النكبة عفا عنه واستدعاه من جديد إلى مراكش وأكرم مثواه كأحد كبار رجال

²⁹ قمبر يوحنا ، فلاسفة العرب (ابن رشد) ، دار المشرق ، بيروت ، ط4 ، ص10 .

³⁰ محمد يوسف موسى ، بين الدين و الفلسفة في رأي ابن رشد و فلاسفة العصر الوسيط ، العصر الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت ط2 ، 1998م ، ص 33 .

³¹ انجل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، م س ، ص366.

الدولة ، ثم إن السلطان نفسه أخذ في دراسة الفلسفة والاهتمام بها أكثر من ذي قبل ، ولكن الفيلسوف لم يهنأ بهذا العفو فأصيب بمرض لم يمهله سوى سنة واحدة مكث بها بمراكش حيث توفي سنة (595هـ / 1198م) ، وقد دفن بها، قبل أن تنقل رفاته في وقت لاحق إلى مسقط رأسه قرطبة³².

ب. مؤلفات ابن رشد :

" له مؤلفات عدة في أربعة أقسام : شروح ومصنفات فلسفية وعملية ، شروح ومصنفات طبية ، كتب فقهية وكلامية ، كتب أدبية ولغوية ، لكنه اختص بشرح كل التراث الأرسطي ، وقد أحصى جمال الدين العلوي مئة وثمانية مؤلفاً لابن رشد ، وصلنا منها ثمانية وخمسون مؤلفاً بنصها العربي³³.

كما يصنف محمد عابد الجابري مؤلفات ابن رشد في سبعة أصناف :

- 1 (مؤلفات علمية تشتمل على إجتهدات في مجالات مختلفة كالفقه في كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد والطب في كتاب الكليات في الطب.
- 2 ("الردود النقدية كرهه على الغزالي في كتب الضميمة وفصل المقال وهو من المصنفات الفقهية والكلامية. وقد أكد فيه ابن رشد على أهمية التفكير التحليلي كشرط

³² قمير يوحنا ، فلاسفة العرب (ابن رشد) ، م.س، ص43.

³³ محمد يوسف موسى ، بين الدين و الفلسفة في رأي ابن رشد و فلاسفة العصر الوسيط ، م.س ، ص34.